جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 37 / أيلول 2023

فلسفة العدالة الاجتماعية عند الإمام علي عليه السلام عهد مالك الاشتر (رض) أنموذجا

Social Philosophy of Justice according to Imam Ali ،peace be upon him His era with Malik Al-Ashtar is a model

أ.د محمد حسين عبود الطائي
Prof. Dr. Muhmmad Hussian Abud AL-tai
م.م وئام علي خميس القره غولي
Asst. Lect.Weiam Ali Khames Al Qaraqhuli

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
University Of Karbala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: العدالة الاجتماعية، الإمام علي (عليه السلام)، العهد، المجتمع، العدل.
Keywords: Social justice - Imam Ali (peace be upon him) - era - Society – Justice

.

الملخص:

يُعّد العدل الميزان الأساس في الكون الذي به يستقيم الخلق، فالله جلّ شأنه خلق الكون على وفق معايير علمية يشّكل العدل محورية مهمة في إنشائها، وهو مدبّر الأمور وتقديره قائم على العدل التام الذي لا جور فيه.

وقد تجلى عدل الله سبحانه في شخوص حفظ بهم الأرض، وهم الأنبياء وأوصياؤهم (ع)، ومنهم أمير المؤمنين(ع) الذي تجسد العدل فيه فكرا ومنهجا وسلوكا، وكان بحق رائد العدالة الانسانية، الذي انعدم نظيره في التاريخ، وقد تضمن نهج البلاغة ـ الذي يمكن عدّه مشروعا حضاريا إنسانياً متكاملا ـ صوراً زاخرة من العدل تجسدت في أحاديث وأقوال ووصايا لمولانا امير المؤمنين (عليه السلام).

وتبلورت صور العدل في العهد المبارك الموّجه من قبل أمير المؤمنين عليه السلام للصحابي الجليل مالك الأشتر(رض)، ذلك العهد الذي بين أطيافه الوصايا التي تمثلت في ألوان متعددة وأشكال مختلفة للعدل الذي انطوى تحت طائلته الحاكم بوصفه والٍ وخليفة وقاضٍ ونحوهم والمحكوم الذي يستوعب كل طبقات المجتمع، من غير فرق بينهم.

والحق إن العهد الشريف يُعد وثيقة انسانية تحفظ حقوق الحاكم والمحكوم، وتنظم واجبات الجميع بما يضمن للجتمع تحقيق العدالة بجوانبها كافة .

Abstract

God’s justice, Glory be to Him, was manifested in the people with whom He preserved the earth ،and they are the prophets and their guardians (peace be upon him) ،and among them is the Commander of the Faithful (peace be upon him) ،in whom justice was embodied in thought ،method and behavior ،and he was rightfully the pioneer of human justice ،whom we have no parallel in history. He considered it an integrated human civilized project - rich images of justice embodied in hadiths ، sayings and commandments.

And the images of justice were embodied in the blessed covenant directed by the Commander of the Faithful to the great companion Malik al-Ashtar (may God be pleased with him) ،that era that included among its spectrum the commandments that were represented in multiple colors and different forms of justice ،which included under its rule the ruler ،qualifier ،caliph ،judge and the like ،and the governed that accommodates all classes of society

The truth is that the honorable era is a humane document that preserves the rights of the ruler and the ruled ،and regulates the duties of all in a way that ensures that the society in a society is a safe and happy society.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين

يُعّد العدل ميزان الكون الذي به يستقيم خلقه ووجوده، فالله جلّ شأنه خلق الكون على وفق معايير علمية يشّكل العدل محورية مهمة في إنشائها، وهو مدبّر الأمور وتقديره قائم على العدل التام الذي لا جور فيه.

إن كل ذرة في هذا الكون الفسيح تنطق بالعدل الإلهي قال تعالى:((وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِين)) سورة الأنبياء/16، وإنه سبحانه((يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)) سورة النحل/90، ويأمر الناس أن يحكموا بالعدل قال تعالى:((وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْل)) سورة النساء/58، ثم إنه سبحانه جعل موازين يوم القيامة قائمة على أساسه، قال سبحانه:((وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِين)) سورة الأنبياء/47.

لقد تجلى عدل الله سبحانه في شخوص حفظ بهم الأرض أن تسيخ بأهلها، وهم الأنبياء وأوصياؤهم (ع)، ومنهم أمير المؤمنين(ع) الذي تجسد العدل فيه فكرا ومنهجا وسلوكا، وكان بحق رائد العدالة الانسانية، الذي انعدم نظيره في التاريخ، وقد تضمن نهج البلاغة ـ الذي يمكن عدّه مشروعا حضاريا انسانيا متكاملا ـ صوراً زاخرة من العدل تجسدت في أحاديث وأقوال ووصايا.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في سعي الباحث إلى سبر أغوار العهد المبارك الموّجه من قبل أمير المؤمنين عليه السلام إلى الصحابي الجليل مالك الأشتر(رض)، ذلك العهد الذي بين أطيافه الوصايا التي تمثلت في ألوان متعددة وأشكال مختلفة للعدل الذي انطوى تحت طائلته الحاكم كوال وخليفة وقاض ونحوهم والمحكوم الذي يستوعب كل طبقات المجتمع، من غير فرق بينهم.

والحق إن العهد الشريف يُعد وثيقة انسانية تحفظ حقوق الحاكم والمحكوم، وتنظم واجبات الجميع بما يضمن أن يكون المجتمع في ظله مجتمعا أمنا سعيدا.

منهجية البحث:

استلزم البحث أن يكون على مبحثين كان الأول منهما في ثلاثة مطالب تناولت الإطار النظري لمفردات العنوان، فيما كان المبحث الثاني في مطالب أربعة خاضت في صور العدالة في عهد أمير المؤمنين (ع)، ثم نتائج البحث التي توصل اليها الباحث، فقائمة الهوامش ثم مصادره.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على محمد وآله الطاهرين وأصحابه المخلصين.

المبحث الأول: الإطار النظري لمفردات العنوان:

ينبغي ـ ابتداء ـ أن يتطرق البحث الى مفهوم المفردات الواردة في ثنايا العنوان، كتمهيد للولوج في البحث؛ لذا فقد استلزم أن ينقسم هذا المبحث على المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم العدالة:

أولا: مفهوم العدالة لغة:

العدالة لفظ مشتق من العدل والعدل((ضد الجور وما قام في النفوس أنه مستقيم كالعدالة والعدولة والمعدلة، عدل يعدل فهو عادل من عدول وعدل بلفظ الواحد وهذا اسم للجمع، رجل عدل وامرأة عدل وعدلة، وعدل الحكم تعديلا: أقامه وفلانا: زكاه والميزان: سواه، والعدلة محركة وكهمزة: المزكون أو كهمزة للواحد وبالتحريك للجمع، وعدله يعدله وعادله: وازنه وفي المحمل: ركب معه، والعدل: المثل والنظير كالعدل والعديل ج: أعدال وعدلاء والكيل والجزاء والفريضة والنافلة والفداء والسوية والاستقامة))[1] ، و((عدَلَ يعدِل عدْلاً وعُدولاً وانعدَل وعدلْته عنه – أملتُه وقيل عدَلتُه – قوّمتُه عن ميله وعدلْت الشيءَ أعدِلُه – إذا كان فيه أدنى ميلٍ فأقمْتَه والتّعديل – التّقويم. وقال عمر: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا مثلتُ عدّلوني كما يُعدّل السّهم، والمُعادلة – الانعِدال وأنشد:

وإني لأُنْحي الطّرفَ من نحو غيرِها *** حَياءً ولو طاوَعْته لم يعادِل

وعدلْت إليه رجعت، أبو عبيد: كنفَ عنه عدل وأنشد: ليُعلَم ما فينا عن البيعِ كانِف، أي عادِل عن البيع ويُروى بالتاء أظنّ ذلك كانِف، ابن دريد: خام عنه خَيَماناً وزاخ – عدل)) [2]، إذاً فالعدل والعدالة بمعنى واحد وكلاهما يفضيان الى الإستقامة في الأمور، وعدم الميل عنها.

ثانيا: مفهوم العدالة اصطلاحا:

لقد بُحثت العدالة في علوم مختلفة، ففي علم الكلام يُبحث عنها بلحاظ العدل الإلهي والنزاع بين الأشاعرة والإمامية وغيرهم، كما يُبحث عنها في علم الاجتماع من جهة العدالة الاجتماعية، كما يُبحث عنها في علم الأخلاق والسير والسلوك بلحاظ القوى الثلاثة العاقلة والشهوية والغضبية، كيفما يكن الأمر فالعدالة عبارة عن: هيئة أو ملكة يقتدر بها العقل العملي على تعديل القوى الثلاث على حسب ما يقتضيه العقل النظري[3]، وعُرّفت العدالة أيضا بأنها ((المعروفية بالدين والورع عن محارم الله))[4]، وكذا بأنها((الملكة: وهي من الأُمور الخفيّة الّتي لا يمكن حصول العلم بها غالباً فلو اعتبر العلم فيها لا نسدّ طريق ثبوتها))[5]، فيما ذهب السيد الخوئي(قد) الى أن العدالة هي الاستقامة العملية، وفقا لمعناها اللغوي، إذ ليس لها حقيقة شرعية،إذ ((قال: ليست العدالة من الأوصاف النفسية، وانما هي صفة عملية، هي الاستقامة على جادة الشرع وعدم الانحراف عنها))[6].

خلاصة القول إن العدالة بأبسط تعريفاتها((الملكة وحسن الظاهر طريقاً إليها، لأن حسن الظاهر أعم من العدالة))[7].

المطلب الثاني: مفهوم الاجتماعية: ويمكن الكشف عنه عن طريق الآتي:

أولا: الاجتماعية لغة:

إذ ((يقال: قد أجمع أمره فهو مجمع، إذا عزم عليه، قال الراجز:

يا ليت شعري والمنى لا تنفع ** هل أغدون يوما وأمري مجمع

ويقال: لهب مجمع، إذا حزق وضم من طوائفه، ويقال: قد أجمع ناقته إذا صر أخلافها جمع، وكذلك أكمش بها،فإن صر ثلاثة أخلاف قيل: ثلث بها، فإن صر خلفين قيل: شطر بها، فإن صر خلفا قيل: خلف بها، ويقال: جمعت الشيء المتفرق أجمعه جمعا، ويقال للجارية إذا شبت: قد جمعت الثياب، أي لبست الدرع والخمار والملحفة، وجاء القوم بأجمعهم وبأجمعهم))[8]، ((وأَجْمَعْتُ الشيء فهو مُجْمَع وجَمِيع))[9]، فالجمع إذاً هو العزم وضم الأشياء الى بعضها.

ثانيا: الاجتماعية اصطلاحا:

يمكن تعريف الاجتماع بنحو بدوي على أنه ضم أحد الشيئين ((إلى الآخر نفسه ليس هو شيئا آخر ولم يكونا قبل الضم والجمع مضمومين ولا مجتمعين))[10].

والحق فإن الجمع بين مفهومي العدالة والاجتماعية يجرّنا الى الحديث عن متطلبات العدالة الاجتماعية التي يدعو إليها الإسلام، التي تختلف باختلاف الظروف الاقتصادية للمجتمع، والأوضاع المادية التي تكتنفه.

فقد يكون القيام بعمل مضرٍ بالمجتمع وكيانه الضروري، في زمان دون زمان[11]؛ وذلك لأن مصاديقها ((تختلف من زمان إلى آخر ومن مكان إلى آخر كمفهومي الغنى والفقر الذي تختلف مصاديقهما من زمن لآخر ومن مكان لآخر ومن حالة إلى أخرى))[12].

من ثم فإن العدالة الاجتماعية في أبسط صورها هي ((توزيع الثروة بين المسلمين بحيث لا يبقى فيهم مترف متخم، ولا كادح سغب))[13]، وإقامة الحقوق والواجبات بين الجميع على حد سواء.

المطلب الثالث: مفهوم العهد: ويتم بيانه عبْر الآتي:

أولا: العهد لغة:

ورد أن ((العهد: الوصية والتقدم إلى صاحبك بشيء، ومنه اشتق العهد الذي يكتب للولاة، ويجمع على عهود، وقد عهد إليه يعهد عهدا والعهد: الموثق وجمعه عهود والعهد: الالتقاء والإلمام يقال: ما لي عهد بكذا، وإنه لقريب العهد به والعهد: المنزل الذي لا يكاد القوم إذا انتأوا عنه رجعوا إليه))[14]، والعهد: الأمان والذمة، والعهد: الميثاق الذي يكتب للولاة، وهو اليمين التي تستوثقه بها ممن عاهدك، والعهدة: وثيقة المتبايعين، لأنه يرجع إليها عند الالتباس، وعهد فلان إلى فلان يعهد عهدا: ألقى إليه العهد وأوصاه بحفظه، وعاهده معاهدة وأعهده: أعطاه عهدا،وذو العهد والمعاهدة (بالبناء للفاعل والمفعول): الحربي يدخل بالأمان[15].

ثانيا: العهد اصلاحا:

العهد هو ((كل ما التزم به الإنسان لغيره))[16]، وقيل بأنه قبول العهدة من الموصى إليه مثلا من الموصي (بالكسر) بأن يعمل به، والتعبير بالمعاهدة من باب التغليب غالبا[17].

من هنا يمكن وصْف العهد بأنه الوثيقة المعقودة بين طرفين، والتي تتضمن معاني الأمان والذمة اللذين يستلزمان الوفاء بهما، فإذا عرفنا ذلك تأكد لنا أن عهد أمير المؤمنين(ع) هو((ما كتبه أمير المؤمنين (عليه السلام) دستورا لمالك الأشتر بن حارث النخعي الشهيد بالسم في سنة (ه37) حين ولاه مصر، في آداب الحاكم والوالي وكيفية معاشرته وسلوكه مع الرعايا إنما هو عهد قائم على أساس الالتزام والوفاء))[18] من قبل الصحابي الجليل مالك الأشتر، اتجاه ما ورد من بنود في هذا العهد المبارك، أملاها عليه أمير المؤمنين(ع)، كما سيتبين في محله بإذن الله تعالى.

المبحث الثاني: صور العدالة الاجتماعية في عهد أمير المؤمنين(ع) لمالك الأشتر(رض):

لا بد ـ قبل أن يخوض المبحث في أصناف العدالة الاجتماعية، التي احتواها العهد المبارك ـ من المرور على السيرة العطرة لصاحب أمير المؤمنين (ع) مالك الأشتر، ذلك الصحابي الذي يُعد رمزا من رموز الدين والشجاعة والولاء، التي يفتخر بها التاريخ الامامي فضلا عن التاريخ الاسلامي، إنه مالك بن الحارث أو الحارث الأشتر النخعي (رض)، جليل القدر عظيم المنزلة، واختصاصه به (عليه السلام) أظهر من أن يخفى [19].

ومالك الأشتر(رض) من خواص أمير المؤمنين(ع) ومن حواريه، ومن أبرز قواده في حروبه، ولقد كان ممن((أدرك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يستطع أحد الطعن فيه أبدا، وقال ابن أبي الحديد(656ه) في شرح النهج يوم أرسل أمير المؤمنين (عليه السلام) كتابا إلى أميرين من أمراء جيشه يذكر فيه توليته مالكا بقوله: وقد أمرتكما وعلى من في حيزكما مالك بن الحارث الأشتر فاسمعا له وأطيعا واجعلاه درعا ومجنا، فإنه

ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ولا بطؤه عن الإسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطئ عنه أمثل، فقال ابن أبي الحديد ولعمري كان الأشتر أهلا لذلك، كان شديد البأس جوادا، رئيسا حليما فصيحا شاعرا، وكان يجمع بين اللين والضعف فيسطو في موضع السطوة ويرفق في موضع الرفق، ومن كلام عمر، إن هذا الأمر لا يصلح إلا لقوي في غير عنف ولين في غير ضعف))[20]، ويعد ((الساعد الأيمن للإمام علي(عليه السلام) وسيفه البتار، خاض مع الإمام معاركة التي خاضها في مواجهة أهل القبلة من الصحابة والخوارج وأهل الشام، وكانت له مكانة خاصة عند الإمام الذي كان يعتبره من أتباعه المخلصين الذين يوالونه بقلوبهم وسيوفهم، وقد أسهم مالك في وقعة الجمل كما أسهم في الثورة على عثمان وقاد المعارك ضد معاوية في وقعة صفين وكاد أن يحقق النصر ويدحر جيوش الشام لولا حيلة ابن العاص برفع المصاحف))[21]، ويعرف عن مالك شدته في الحق، وتنمره في ذات الله سبحانه ، وتعصبه للإمام علي عليه السلام ومن مظاهر هذه الشدة أنه كان يهدد المترددين والمتوقفين عن بيعة الإمام ويجبرهم على بيعته، كما كان من المعارضين لوقف القتال في صفين، واختاره الإمام حكما بينه وبين معاوية، إلا أن الخوارج رفضوا هذا الاختيار لخوفهم من أن يتسبب الأشتر في تفجر الصراع من جديد بعد أن توقف بسبب طلب التحكيم[22]، ومما يُحكى عن مآثره الأخلاقية، أنه ((كان مجتازا بسوق وعليه قميص خام، وعمامة منه، فرآه بعض السوقة فأزرى بزيه، فرماه ببندقة تهاونا به، فمضى ولم يلتفت، فقيل له: ويلك أتعرف لمن رميت ؟ فقال: لا، فقيل له: هذا مالك صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام)، فارتعد الرجل، ومضى إليه ليعتذر إليه، وقد دخل مسجدا وهو قائم يصلي فلما انفتل انكب الرجل على قدميه يقبلهما، فقال: ما هذا الأمر ؟ فقال: اعتذر إليك بما صنعت، فقال: لا بأس عليك، والله ما دخلت المسجد إلا لأستغفر لك))[23]، ومضافا لما تميّز به من شجاعة منقطعة نظير، وأخلاق سامية فريدة، فقد كان شاعرا مبدعا، إذ تم ((جمْع أشعاره من كتب التاريخ والتراث والمناقب، وتم توثيق أشعاره من كتب اللغة والأدب والمعاجم))[24].

ولعل مما يبرّز مكانة هذا الصحابي الجليل ما ورد من أقوال أمير المؤمنين (عليه السلام) في حقه، منها ما نقله((جماعة من أشياخ النخع قالوا: دخلنا على أمير المؤمنين (عليه السلام) حين بلغه موت الأشتر فوجدناه يتلهف ويتأسف عليه ثم قال: لله در مالك وما مالك لو كان من جبل لكان فندا ولو كان من حجر لكان صلدا، أما والله ليهدن موتك عالما وليفرحن عالما، على مثل مالك فلتبك البواكي وهل مرجو كمالك ؟ وهل موجود كمالك؟ قال علقمة بن قيس النخعي: فما زال علي يتلهف ويتأسف حتى ظننا أنه المصاب به دوننا وعرف ذلك في وجهه أياما))[25].

ولا يخفى مافي هذه الرواية من تكريم جلي وتبجيل واضح، يكشفان عن المكانة السامية التي يتمتع بها مالك، ولو قلبْنا صفحات التقييم الرجالي لأصحاب أمير المؤمنين(ع) من قبل أمير المؤمنين(ع)، لما وجدنا فيهم من وصل لمقام مالك؛ لذلك ورد عن أمير المؤمنين(ع) قوله:((رحم الله مالكا فلقد كان لي كما كنت لرسول الله (صلى الله عليه وآله)))[26]، الأمر الكاشف عن رفيع منزلة مالك وعظيم ما تحصّل عليه من الأوسمة العلوية التي لم

يحض بها غيره، والتي منحته أسباب الخلود، فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد عام(38هـ) غيلة بتدبير معاوية بن أبي سفيان ويوم يُبعث حيا.

ومن أبرز البيّنات الدالة على مكانة مالك الأشتر عند أمير المؤمنين(ع)، هو ذلك العهد الذي سيقف البحث على طائفة من ألوان العدالة الاجتماعية التي تناولتها صفحاته المباركة من المطالب الآتية:

المطلب الأول: تحقيق العدل في الرحمة بين عموم الرعية:

يلمس المتتبع لفقرات عهد أمير المؤمنين(ع)، أن جملة من المبادئ الإنسانية الراقية شكلّت قطب الرحى فيه كالرحمة والحق والعدل وسواها من المفاهيم، التي تضمن السعادة لبني الإنسان.

والحق إن العهد المبارك يمّثل خارطة طريق تامة كاملة، لكل حاكم ووال وصاحب سلطة أيا كان دوره، تدلّه على الطريق السليم والمهيع الصحيح الذي يضمن سعادته وسعادة من يحكمهم.

ولعل من أول الوصايا التي تطالعنا هو قوله (ع) لمالك:((ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل الذي كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم))[27]، والكلمات الطاهرة لأمير المؤمنين(ع) تحمل في طياتها التعليم والتنبيه والتذكير للصحابي الجليل مالك الأشتر(رض)، مذكرة إياه (رض) بأنه ماض الى بلاد قد جرت عليه دول الجور والعدل؛ وقد سعت الوصية العلوية في أولى كلماتها الى وضّع الأساس الأول لصرْح العدل في ولاية مالك(رض)، وذلك حين استبطنت طلب أمير المؤمنين(ع) بأن يجعل مالك الأشتر(رض) نفسه في مواجهة نفسه وأن يجعلها ميزانا فيما بينه وبين الناس، وذلك حين ينزله ـ في رؤية الوالي وتقييمه ـ منزلة الرعية، مذكّرا إياه بضرورة أن يلتفت الى أنه سيكون موضع النظر والتقييم بالنسبة للناس حين يتولّى شؤونهم، مثلما كان الحكام موضع نظره هو(رض) وتقييمه.

وهنا نتذكر وصية أمير المؤمنين لولده الامام الحسن(ع)، التي تتحمل مضامين قريبة من تلكم التي أوصى بها مالك الأشتر(رض) حين يقول لولده(ع): ((يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك. واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وأرض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك))[28].

والخلاصة أنه كما يجب على ولده الإمام الحسن(ع) أن يجعل نفسه ميزانا فيما بينه وبين الناس، فكذا يجب على مالك الأشتر(رض) أن يجعل نفسه ميزانا فيما بينه وبين الناس حين النظر في امور الولاة الذين سبقوه بالحكم على الناس.

ثم ورد فيه قوله(ع): ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا يدي لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته، ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مندوحة....))[29]، إذ طلب أمير المؤمنين (ع) من مالك أن يكون قلبه موضع الرحمة والحب واللطف اتجاه الرعية.

ويمكن القول إن القراءة المتأنية لتلكم الفقرات توقف البحث على الآتي:

أولا: لا يخفى ما في قول أمير المؤمنين(ع) (وأشعر قلبك الرحمة) من استنطاق لمعاني الرأفة والرحمة اتجاه الناس، الذين عبّر عنهم (ع) بـ(الرعية)، وما تنطوي عليه هذه المفردة من أسباب استثارة مكامن الرحمة اتجاههم، ملفتا ومذّكرا لمالك الأشتر(رض) ولكل من يتولّى سلطة ما، بما ورد عن النبي(صلى الله عليه وآله): ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))[30].

ثانيا: تحرّي العدل في توزيع الرحمة بين الرعية، من غير ميل لبعض على حساب بعض آخر، وبغض النظر عن الانتماء الديني، ولعلّ قوله (ع): (فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق) يؤكد هذا المعنى بوضوح.

ثالثا: ومن أجل تحقيق معاني العدل بنحو ثابت، فإنه (ع) يُذكّر مالكا بأن عليه واليا أي رقيبا متابعا لما تفعل ويقصد بذلك نفسه(ع)، وفوقهما الله سبحانه وتعالى، الذي لا تخفى عليه خافية، ثم يُحذّر أمير المؤمنين (ع) مالكا من أن ينصب نفسه لحرب اللهعن طريق عدم العمل بما وصّاه به من الرحمة بالرعية والعدل فيهم، حين يقول:(فإنك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا يدي لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته)

المطلب الثاني: تحقيق العدل بين العامة والخاصة:

فقد ورد من جملة وصايا أمير المؤمنين(ع) لمالك الأشتر في عهده الشريف قوله:((أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إن لا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته وكان لله حربا حتى ينزع ويتوب.....))[31]، وفي قوله (ع) دعوة لبذْل الإنصاف في كل الأحوال ومع الجميع، من دون فرْق بين عوام الناس وخواصهم، وهي دعوة صريحة لتحقيق متطلبات العدل عن طريق تطبيق مظاهر الإنصاف، ابتداء من إنصاف الحاكم لله سبحانه عن طريق إعطاء الناس العدل من نفسه ومن خاصة أهله، ومن قد يكون له ميل أو هوى، وبعبارة أخرى هو توجيه بضرورة

أن يكون الحاكم متحرّيا للعدل والانصاف مع ربه لينطلق منه فينصف الناس من نفسه وخواصه ومن له بهم هوى، ثم إن أمير المؤمنين(ع) يحذّر مالكا من مغبة عدم الركون الى العدل والانصاف، وأنه سيدخل في دائرة المحاربين لله سبحانه.

ثم يقول(ع): ((وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة وأن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء وأقل معونة له في البلاء وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف وأقل شكرا عند الإعطاء وأبطأ عذرا عن المنع وأضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة، وإنما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة فليكن صغوك لهم وميلك معهم، وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعائب الناس، فإن في الناس عيوبا الوالي أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك.....))[32].

ولو تأمل البحث كلمات أمير المؤمنين(ع) ـ أعلاه ـ جليا لوجد أنها تكشف عن أنموذج إنساني من الحكام قلّ نظيره في التأريخ، إذ أن من عادة الحكام والملوك والخلفاء والرؤساء ونظائرهم، تقديم خاصة الناس من مقربيهم ومتولّي شؤونهم على عوام الناس وبسطائهم، غير أن أمير المؤمنين(ع) يخالف ذلك العرف السياسي السائد عند الحكام عبر التاريخ، ليؤكد مراعاة مكانة وأمور العامة دون الخاصة جاعلا العدل والإنصاف والحق والرضا السبل لهذه المراعاة، مبيّنا(ع)علل وأسباب هذا التقديم بقوله(ع):(وإنما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة فليكن صغوك لهم وميلك معهم)، فيما يكون الخاصة بحسب وصفه(ع)(أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء وأقل معونة له في البلاء وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف وأقل شكرا عند الإعطاء وأبطأ عذرا عن المنع وأضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة)، وهو (ع).

والحق أن المقارنة المستوحاة من الكلمات الطاهرة لأمير المؤمنين(ع) تشير، إن لم تكن تؤكد على لزوم تقديم عوام الناس على خواصهم عند الحاكم،ثم أنه(ع) يكشف للوالي دواعي استبعاد بعض الرعية ممن قد يكونوا موضع ثقته أو مشورته، وذلك عندما تتوافر فيهم الصفات المستلزمة للاستبعاد حين يقول(ع): (وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعائب الناس)، ولله درك يا أمير المؤمنين حين يعلّل ذلك بقوله(ع): (فإن في الناس عيوبا الوالي أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك).

ولا يدري الباحث والله كيف ينظر الى تلك الوصايا العلوية المتألقة في عالم الإنسان قبل عالم السياسة، لتقدم مثالا لا أقول قلّ نظيره، بل انعدم نظيره في عوالم الحكام والولايات عبر تاريخها الطويل

ثم تنطلق فقرات الوصية المباركة، لتشخّص من يستحقون أن يكونوا خاصة الوالي أو الحاكم فهم كما أشار لهم(ع) ((ممن لم يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على إثمه أولئك أخف عليك مؤونة وأحسن لك معونة وأحنى عليك عطفا وأقل لغيرك ألفا))، ثم عطف(ع) موجهّا كلامه لمالك(رض) آمرا إياه بأن يتخذهم أمثال هؤلاء لخلواته وحفلاته بقوله(ع): (فاتخذْ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك)، غير أنه (ع) ينبّهه ويحذّره مما وقع فيه من كان قبله من الولاة حين قرّبوا من زينّوا لهم الباطل فجعلوه حقا بقوله(ع): (ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعا ذاك من هواك حيث وقع)، فالحق عند أمير المؤمنين هو الميزان في تقريب وبعد الناس عنده، ثم أنه (ع) وألصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فإن كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من الغرة، ولا يكونن المحسن والمسئ عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيدا لأهل الاحسان في الاحسان وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة والزم كلا منهم ما ألزم نفسه، إنها تسعى لتحقيق ألوان السعادة والاستقرار بين الحاكم والمحكوم.

المطلب الثالث: تحقيق العدل بين طبقات المجتمع:

فقد ورد في العهد المبارك لأمير المؤمنين(ع) قوله: ((، وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك، واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عنبعض فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الانصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكل قد سمى الله له سهمه ووضع على حده وفريضته في كتابه أو سنة نبيه (صلى الله عليه وآله) عهدامنه عندنا محفوظا، فالجنود بإذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الامن وليس تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على في جهادهم عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم، ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها ولا قوام لهم جميعا إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه وليس يخرج الواليمن حقيقة ما أكرم الله تعالى من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل، فوّل من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك أنقاهم جيبا وأفضلهم حلما ممن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر ويرؤف بالضعفاء وينبو على الأقوياء.....))[33].

ويلمس المتمعن في تلكم الفقرات نفحات العدل صريحة واضحة، يتصدرها الحق الذي بيّنه أمير المؤمنين لكل طبقة من طبقات المجتمع، ويمكن استجلاء ذلك عن طريق النقاط الآتية:

أولا: دعوته وتأكيده لمالك(رض) بأن يُكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء؛ لان به صلاح أمر العباد والبلاد كما بيّن أمير المؤمنين(ع)؛ لان من متطلبات تحقيق العدل في المجتمع هو إعطاء هاتين الفئتين حقهما وتفعيل دورهما في تثبيت أسباب صلاح المجتمع.

ثانيا: كما تتجسد معاني العدل في قول أمير المؤمنين(ع): (واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض)، وبعبارة أدق أن الصلاح لا يمكن أن يتحقق بطبقة دون أخرى؛ لأن في ذلك غمط لحقوق طبقة على أخرى، فمقتضى العدل أن لا يتم الصلاح إلا بتكاتف جميع الطبقات؛ لأنه لا غني لبعضها عن بعض.

ثالثا: تسمية وتشخيص أمير المؤمنين(ع) لمجموع طبقات المجتمع من غير استثناء واحدة منها، إذ يقول:(فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الانصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة)، وهو ما يشعر، بل يؤكد حضور مبدأ العدل بينها جميعا، ثم يكشف (ع) عن مكامن العدل المتمثلة بالأسهم المقرّرة من قبل الله سبحانه لكل من هو داخل في تلكم الطبقات، إذ يقول(ع): (وكل قد سمى الله له سهمه ووضع على حده وفريضته في كتابه أو سنة نبيه (صلى الله عليه وآله) عهدا منه عندنا محفوظا)، وهنا نتذكر مثالا ميدانيا لذلك العهد المحفوظ عند أمير المؤمنين(ع)، والذي به صان الفرائض والحدود، فقد قدم عقيل ابن أبي طالب على أخيه أمير المؤمنين(ع)، فقال علي (ع) لولده الحسن(ع): ((اكس عمّك، فكساه قميصاً من قمصه ورداء من أرديته، فلمّا حضر العشاء فإذا هو خبز و ملح فقال عقيل: ليس إلاّ ما أرى ؟ فقال: أوليس هذا من نعمة الله فله الحمد كثيراً. فقال: أعطني ما أقضى به ديني وعجّل سراحي حتّى أرحل عنك، قال: فكم دينك يا أبا يزيد؟ قال: مأة ألف درهم. قال: والله ما هي عندي ولا أملكها و لكن اصبر حتّى يخرج عطائي فأواسيكه، ولولا أنّه لابدّ للعيال من شيء لأعطيتك كلّه، فقال عقيل: بيت المال في يدك وأنت تسوّفني إلى عطائك ! وكم عطاؤك وما عسى يكون ولو أعطيتنيه كلّه ؟ ! فقال: ما أنا وأنت فيه إلاّ بمنزلة رجل من المسلمين. وكانا يتكلّمان فوق قصر الإمارة مشرفين على صناديق أهل السوق. فقال له علىّ (عليه السلام): إن أبيت يا أبا يزيد ما أقول فانزل إلى بعض هذه الصناديق فاكسر أقفاله وخذ ما فيه. فقال: وما فيهذه الصناديق ؟ قال: فيها أموال التجّار،قال: أتأمرني ان أكسر صناديق قوم قد توكّلوا على الله وجعلوا فيها أموالهم؟ فقالأمير المؤمنين (عليه السلام): أتأمرني أن أفتح بيت مال المسلمين فأعطيك أموالهم وقد توكّلوا علىالله وأقفلوا عليها؟ وإن شئت أخذت سيفك وأخذت سيفي وخرجنا جميعاً إلى الحيرةفإن بها تجّاراً مياسير فدخلنا على بعضهم فأخذنا ماله. فقال: أو سارقاً جئت؟! قال:تسرق من واحد خير من أن تسرق من المسلمين جميعاً. قال له: أفتأذن لي أن أخرج إلىمعاوية ؟ فقال له: قد أذنت لك. قال: فأعنّي على سفري هذا. قال: يا حسن أعط عمّكأربعمائة درهم فخرج عقيل وهو يقول:

سيغنيني الذي أغناك عنّي *** ويقضي ديننا ربّ قريب))[34].

والرواية واضحة الدلالة في سعي أمير المؤمنين (ع) الحثيث لتطبيق معاني العدل مع أهل بيته، وأنه لا فرق عنده (ع) في تحقيق مبادئ العدل والمساواة بين أهله وذويه وبين سائر الناس، وكيف لا يكون كذلك وهو القائل:((لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله. ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس ويهينه عند الله، ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه ولا عند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم....))[35].

رابعا: يؤكد(ع) على مبدأ العدل أيضا في مسألة حاجة الدولة والمجتمع لكل أصناف وطبقات الرعية، فأمان الرعية وضبط أمورها لا يستقيم إلا بالجنود، ولا قوام للجنود إلا بما يكون لهم من حقوق تُأخذ لهم من الخراج، ثم ان هذين الصنفين لا يقومون إلا بالصنف الثالث وهم القضاة والعمال والحكام، وهؤلاء جميعا لا يتقوّم أمرهم إلا بالتجار وذوي الصناعات، إذ يقول(ع): (فالجنود بإذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الامن وليس تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على في جهادهم عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم، ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها ولا قوام لهم جميعا إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم،ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم) ثم يثبّت (ع) حقيقة عدل الله في حقهم جميعا فيقول(ع): (وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر).

من هنا ففقرات العهد تنطق بإشارات العدل والإنصاف والمساواة، التي يسعى أمير المؤمنين(ع) لتطبيقها عن طريق واليه مالك الأشتر(رض) في كل طبقات الرعية بالعد والسوية.

المطلب الرابع: حقوق الطبقات السفلى في المجتمع:

لقد حظيت كل فئات المجتمع في زمن أمير المؤمنين، بنحو واحد من الإهتمام ونالت حقوقها وفقا لمعايير العدل، التي استقاها أمير المؤمنين(ع) مـــن كتاب الله ونهج نبيه(صلى الله عليه

وآله)، يكشف عنه قول أمير المؤمنين(ع) مخاطبا مالكا(رض) في عهده الشريف:((ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمني، فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا احفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام، في كل بلد فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى وكل من قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييع التافه لأحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم ثم اعمل فيهم

بالإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الانصاف من غيرهم، وكل فاعذر إلى الله تعالى في تأدية حقه إليه، وتعهد أهل اليتم وذي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم، واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع [فيه] لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في غير موطن: لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع))[36].

ولو غاص البحث في تلك الكلمات العلوية السامية، لانتهى الى تأكيد أمير المؤمنين(ع) على لزوم تعهدالوالي للمساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى؛ لأنهم أحوج للإنصاف ـ بحسب تعبير أمير المؤمنين(ع)، وكذا أهل اليتم وذي الرقة في السن وذوي الحاجات، فمقتضى العدل أن يتفقد الحاكم أمثال هذه الطبقات؛ لكي يتساووا مع أقرانهم في بلوغ الرعاية والاهتمام،ثم أنه (ع) يستشهد بحديث النبي(صلى الله عليه وآله)الدال على ان يُؤخذ حق الضعيف من القوي باعتبار انه لا فرق بينهما في الحقوق؛ لأنه لن تُقدس ولن تُهاب أمة لا يسود فيها العدل ويتغلب فيها القوي على الضعيف، ثم يسترسل خطاب أمير المؤمنين(ع) في عهده الشريف ليدعو الى حفظ حقوق بعض طبقات المجتمع، ثم يأمر مالكا بان يحقق العدل في الاهتمام بينهم فيتفقدهم كما يتفقد الوالدان من ولدهما، وهو قول صريح بضرورة تحرّي العدل بخصوص ذلك فيقول:((ألصق بذوي المروءاتوالأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فإنهم جماع من الكرم وشعب منالعرف،ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالدان من ولدهما....))[37].

وكلام أمير المؤمنين(ع) يحمل في طياته، مضافا للعدل المتعلق بتفقد الأحوال الأسباب الكامنة وراء هذا التفقد، إذ أنهم جماع من الكرم وشعب من العرف، الأمر الذي يستلزم الإنصاف بخصوصهم.

المطلب الخامس: تحقيق العدل في القضاء والحكم:

لا يظن الباحث أن ثمة قضاء قام العدل كالقضاء في زمن أمير المؤمنين(ع)، إذ يقول:((ثم اختَرْ للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا يمحكّه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر من الفئ إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، أوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشيف الأمور وأصرمهم عند إيضاح الحكم، ممن لا يزدهيه إطراء ولا يستميله إغراء وأولئك قليل، ثم أكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيح علته وتقل معه حاجته إلى الناس وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له.....))[38]، والفقرات تُسفر عن سياسة أمير المؤمنين في إقامة العدل عبْر الحكم بين الناس، من خلال

اختيار المؤهلين للقيام بهذه الوظيفة الجسيمة، وقد حدّد (ع) جملة من الصفات التي من شأنها أن تهيئ الصالحين لأدائها.

ولو دققنا النظر في تلكم الصفات التي يمكن عدّها بمثابة شروط، يستلزم توافرها فيمن تجشم عناء الحكم بين الناس، لوجدنا أنها ـ الشروط ـ تنقسم على صنفين:

الأول: علمية: وتتلخص في أن يكون من أفضل الرعية، ولا يجر الخصوم الى الجدال ونحوه، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج، وهو شروط تشّكل بمجملها الجانب العلمي ـ أن صح التعبير ـ الذي ينبغي أن يكون عليه الحاكم في الخصومات.

ثانيا: الشخصية: وخلاصتها أن لا يتمادى في الزلة، ولا يشرف على طمع، وأصبر الناس على الكشف عن خبايا الأمور، وأشدهم عند بيان الحكم، ولا يكون خاضعا لمدح او مائل لإغراء.

ولا يخفى أن توفر تلك الصفات فيمن يتولى فصل الخصومات بين الناس، يكون سببا رئيسا لتحقق معاني وأسباب العدل بين الناس، ثم يؤكد(ع) على لزوم مراعاة وتوفير مهّام أخرى لا تقل أهمية عن تلكم الشروط، في تدعيم إقامة العدل تتمثل بالإهتمام بشخص القاضي من الناحيتين المادية والمعنوية، لكي لا يكون فريسة تختاله مطامح الرجال، حين يقول(ع): (ثم أكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيح علته وتقل معه حاجته إلى الناس وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له.....).

ومن أجل تحقيق مضان العدل بين الناس من قبل الوالي، فقد أوصى أمير المؤمنين(ع) مالكا (رض) ونصحه ـ موجها إياه ـ بقوله: ((وإن ظنت الرعية بك حيفا فأصحر لهم بعذرك، واعدل عنك ظنونهم بإصحارك، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقا برعيتك وإعذارا تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحق.....))[39]، والكلام يحمل بين فقراته لونا من ألوان التربية النفسية، التي ترتقي بنفس الحاكم فلا تجعْله يتعنت برأيه ويتزمت بمقالته، بل يقدّم الأعذار فيما لو ظُن به حيفا، ويصارح رعيته ولا يكون ثمة حجاب بينه وبينهم.

خلاصة البحث إن عهد أمير المؤمنين(ع) وثيقة انسانية قائمة على أساس نشْر العدل وصوْن الحقوق وأداء الواجبات ونظم الأمور، بين أفراد المجتمع المسلم من أجل أن تسود السعادة والسلام والامان في ربوع العالم الإسلامي، فلا طبقية ولا مناطقية ولا ظلم للناس أو إجحاف البسطاء أو غمط للحقوق، وهو ما تميّز به عهد أمير المؤمنين(ع) زمنا ووصية.

نتائج البحث

بعد تلك الجولة المباركة مع كلمات أمير المؤمنين(ع) في عهده التاريخي لمالك الأشتر، فقد انتهى البحث الى النتائج الآتية:

1- لقد كان الصحابي مالك الأشتر النخعي(رض) من اقرب أصحاب امير المؤمنين، وأشد فرسان العرب.

2- وجّه أمير المؤمنين(ع) طائفة واسعة من الأوامر والنصائح لمالك الأشتر(رض)، حين ولاه مصر، عُرفت فيما بعد واشتُهرت بعهد مالك الأشتر.

3- يُعّد عهد مالك الأشتر خارطة طريق، لتنظيم حقوق الإنسان وتشريعها على مستوى الحاكم والمحكوم.

4- لم يترك العهد المبارك صغيرة ولا كبيرة فيما يخص علاقة المحكوم بالحاكم، إلا وتناولها بنحو من الإشارة او البيان أو التفصيل.

5- يُعّد العهد المبارك وثيقة تاريخية، تتضمن تنظيم معايير الحقوق والواجبات بين الحاكم والمحكوم على وفق موازين العدل التي أقرتها الشريعة السمحاء، مفرّغة عن لسان أمير المؤمنين(ع).

6- تمثّل فقرات العهد المبارك سبقا تاريخيا، لما يُسمى اليوم بمنظمة حقوق الانسان؛ لذا يُعد الاسلام من اقدم الديانات التي أقرت تلكم الحقوق وسعت الى تطبيقها، حينما كانت أوربا غارقة بالجهل والظلام.

الهوامش:

(1)الفيروزابادي(ت817هـ): القاموس المحيط 13/3.

(2) ابن سيده(ت458هـ): المخصص/ تحقيق ونشر دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان/113.

(3) ظ: السيد المرعشي: شهاب الدين(ت 1411هـ): القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد/ط1(1422هـ)/ مطبعة ستارة 22/2.

(4) المحقق النراقي: أحمد بن محمد(ت1244هـ): مستند الشيعة في أحكام الشريعة/ط1(1419هـ)/تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث – مشهد المقدسة 69/18.

(5) السيد اليزدي: محمد كاظم(ت61337هـ): العروة الوثقى/ ط1(1423هـ)/ نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة 520/6.

(6)أقا ضياء العراقي(ت1361هـ): شرح تبصرة المتعلمين(كتاب القضاء)/ تحقيق محمد هادي معرفة/ مطبعة مهر ـ قم /282.

(7) السيد الكلبايكاني: محمد رضا(ت 1414هـ): كتاب القضاء/ ط(1401هـ)/ مطبعة الخيام ـ قم 206/1.

(8) ابن السكيت الأهوازي(ت244هـ): ترتيب اصلاح المنطق /ط1(1412هـ)/ مطبعة مؤسسة الطبع والنشر في الآستانةالرضوية المقدسة/13.

(9) ابن منظور: جمال الدين(ت711هـ): لسان العرب/ ط01405هـ)/ نشر أدب حوزة 205/13.

(10) ابن حزم: علي بن أحمد(ت456هـ): الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ط1(1320هـ)/ نشر دار الصادر ـ بيروت 120/5.

(11) ظ: محمد باقر الصدر(ت140هـ): اقتصادنا/ ط2(1425هـ)/ مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي/286.

(12) الجواهري: حسن(معاصر): بحوث في الفقه المعاصر/ط 1(1422هـ)/ مطبعة معراج ـ قم 55/3.

(13) محمد جواد مغنية(ت1400هـ): التفسير الكاشف/ ط2(1978م)/ نار العلم للملايين بيروت – لبنان 25/5.

(14) الفراهيدي: الخليل(ت175هـ): كتاب العين/ تحقيق دكتور مهدي المخزومي – الدكتور إبراهيم السامرائي ط2(1409هـ)/ نشر مؤسسة دار الهجرة – ايران – قم 102/1.

(15)ظ: محمود عبد الرحمن عبد المنعم(معاصر): معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية/ دار الفضيلة 311/3.

(16) الكربلائي: جواد عباس(معاصر): الأنوار الساطعة في شرح زيارة الجامعة/ط1(1428هـ)/ نشر مسسةالأعلمي للمطبوعات400/4.

(17) الشيرازي: ناصر مكارم(معاصر): الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل 29/19.

(18)أقا بزرك الطهراني(ت1389هـ): الذريعة الى تصانيف الشيعة/ دار الأضواء بيرت ـ لبنان 118/4 311/3.

(19)البروجردي: علي(ت1313هـ): طرائف المقال/ تحقيق مهدي الرجائي/ ط1(1410هـ)/مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة – قم المقدسة106/2.

(20) جواد جعفر الخليلي(معاصر): شرح القصيدة الرائية تتمة التترية/ ط1(1422هـ)/ نشر الإرشاد للطباعة والنشر – بيروت – لندن/435.

(21) صالح الورداني(معاصر): الشيعة في مصر من الإمام علي (ع) حتى الإمام الخميني/ ط1(1414هـ)/مطابع ستار برس للطباعة والنشر /88.

(22) ظ: صالح الورداني: الشيعة في مصر من الإمام علي (ع) حتى الإمام الخميني/88.

(23)المجلسي: محمد باقر(ت1111هـ): بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار/ لسيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي/ط3(1403هـ)/ دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان 157/42.

(24) مؤسسة آل البيت: مجلة تراثنا/ ط(1411هـ)/ مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث – قم المشرفة/ العدد الثاني – السنة السادسة ربيع الثاني 231/23.

(25)المجلسي: بحار الأنوار 556/33.

(26)المجلسي: بحار الأنوار 306/20.

(27) خطب الإمام علي(ع): نهج البلاغة/ شرح محمد عبده/ ط1(1412هـ)/مطبعة النهضة ـ قم 83/3.

(28) شرح النهج: محمد عبده 84/3.

(29)م.ن 45/3.

(30)المجلسي: بحار الأنوار 38/73.

(31) شرح النهج:محمد عبده 85/3.

(32) شرح النهج:محمد عبده 86/3.

(33) شرح النهج:محمد عبده 91/3.

(34)الريشهري: محمد (معاصر): موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ/ تحقيق ركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائينژاد/ط2(1425هـ)/ طبع ونشر ار الحديث للطباعة والنشر/217.

(35) شرح النهج: محمد عبده 7/2.

(36) شرح النهج: محمد عبده100/3.

(37) شرح النهج: محمد عبده 91/3.

(38)م.ن 95/3.

(39) شرح النهج: محمد عبده 105/3.

المصادر والمراجع:

ـ القرآن الكريم، خير الكلام وإمام الأنام.

1ــ الفيروزابادي(ت817هـ): القاموس المحيط.

2ـ أقا بزرك الطهراني(ت1389هـ): الذريعة الى تصانيف الشيعة/ دار الأضواء بيرت ـ لبنان.

3ــ أقا ضياء العراقي(ت1361هـ): شرح تبصرة المتعلمين(كتاب القضاء)/ تحقيق محمد هادي معرفة/ مطبعة مهر ـ قم.

4ــ البروجردي: علي(ت1313هـ): طرائف المقال/ تحقيق مهدي الرجائي/ ط1(1410هـ)/ مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة – قم المقدسة.

5ـ جواد جعفر الخليلي(معاصر): شرح القصيدة الرائية تتمة التترية/ ط1(1422ه)/ نشر الإرشاد للطباعة والنشر – بيروت – لندن.

6ـ الجواهري: حسن(معاصر): بحوث في الفقه المعاصر/ط 1(1422ه)/ مطبعة معراج ـ قم.

7ـ ابن حزم: علي بن أحمد(ت456ه): الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ط1(1320ه)/ نشر دار الصادر ـ بيروت.

8ـ الريشهري: محمد (معاصر): موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ/ تحقيق ركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد

9ـ محمود الطباطبائينژاد/ط2(1425ه)/ طبع ونشر ار الحديث للطباعة والنشر.

10ـ ابن سيده(ت458ه): المخصص/ تحقيق ونشر دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

11ـ السيد المرعشي: شهاب الدين(ت 1411ه): القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد/ط1(1422ه)/ مطبعة ستارة

12ـ السيد اليزدي: محمد كاظم(ت61337ه): العروة الوثقى/ ط1(1423ه)/ نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

13ـ السيد الكلبايكاني: محمد رضا(ت 1414ه): كتاب القضاء/ ط(1401ه)/ مطبعة الخيام ـ قم.

14ـ ابن السكيت الأهوازي(ت244ه): ترتيب اصلاح المنطق /ط1(1412ه)/ مطبعة مؤسسة الطبع والنشر في الآستانةالرضوية المقدسة.

15ـ الشيرازي: ناصر مكارم(معاصر): الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.

16ـ صالح الورداني(معاصر): الشيعة في مصر من الإمام علي (ع) حتى الإمام الخميني/ ط1(1414ه)/ مطابع ستار برس للطباعة والنشر.

17ـ الفراهيدي: الخليل(ت175ه): كتاب العين/ تحقيق دكتور مهدي المخزومي – الدكتور إبراهيم السامرائي.

18ـ الكربلائي: جواد عباس(معاصر): الأنوار الساطعة في شرح زيارة الجامعة/ط1(1428ه)/ نشر مؤسسةالأعلمي للمطبوعات.

19ـ المجلسي: محمد باقر(ت1111ه): بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار/ لسيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي/ط3(1403ه)/ دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

20ــالمحقق النراقي: أحمد بن محمد(ت1244هـ): مستند الشيعة في أحكام الشريعة/ط1(1419هـ)/تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث – مشهد المقدسة.

21ــ محمد باقر الصدر(ت140هـ): اقتصادنا/ ط2(1425هـ)/ مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي.

22ــ محمد جواد مغنية(ت1400هـ): التفسير الكاشف/ ط2(1978م)/ نار العلم للملايين بيروت – لبنان.

23ــ محمود عبد الرحمن عبد المنعم(معاصر): معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية/ دار الفضيلة.

24ــ خطب الإمام علي(ع): نهج البلاغة/ شرح محمد عبده/ ط1(1412هـ)/مطبعة النهضة ـ قم.

26ــ مؤسسة آل البيت: مجلة تراثنا/ ط(1411هـ)/ مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث – قم المشرفة/ العدد الثاني – السنة السادسة ربيع الثاني.